جامعة المنصورة

كليــة الآداب

انعكاس الواقع والثقافة في رواية بلزاك (المتصيدة)

الدكتور

د/ أحمد قاسم أسحم

أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك

بكلية الآداب - جامعة تعز

مجــلة كلــية الآداب – جامعــة المنصــورة

العدد الخمسون – يناير ٢٠١٢

انعكاس الواقع والثقافة
في رواية بلزاك (المتصيدة)

د.أحمد قاسم أسحم

الملخص

يحاول هذا البحث دراسة انعكاس الواقع والثقافة في أعمال بلزاك الروائية من خلال رواية المتصيدة. وقد توصل إلى أن رواية المتصيدة نموذج استطاع أن يعكس مجتمع بلزاك الواقعي وثقافته،فجاءت عملا فنيا عاكسا الاستغلال والفساد في المجتمع الفرنسي على جميع المستويات ،وذلك بتفشي الأنانية والذاتية المسرفة. وتفسير ذلك يكمن في الفراغ الروحي الذي ساد في القرن التاسع عشر في أوربا، هذا الفراغ الذي أسهمت التربية والأسرة في توطيده من خلال غرس مبدأ احترام القانون لا الخوف من الله كما صرح بذلك بلزاك في إحدى رواياته، واعتناق فلسفات تحبذ سيادة الأقوياء في المجتمع. كما انعكست ثقافة بلزاك الواسعة الشرقية والغربية من خلال عمليات التناصات المنتشرة في ثنايا الرواية والتي كان لها الأثر في توضيح الكثير من القضايا .كما كشف البحث تمتع بلزاك بأسلوب قصصي رائع يقوم على أخص الخصائص الفنية وهي الصورة وبخاصة الصورة التشبيهية، وقد استطاع بهذا الأسلوب رسم الشخصية والبيئة معتمدا الوصف والتحليل ووسائل التشويق.

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى استخلاص أثر الواقع والثقافة في عمل بلزاك المشهور [المتصيدة]، محاولة لإثبات أو نفي فرضية رآها الباحث من خلال قراءته لأعمال بلزاك، وخصوصاً المتصيدة، تقول الفرضية: إن بلزاك قد تأثر كثيراً بواقعه وثقافته الغربية والشرقية وعكسها على أعماله الروائية .ومن هنا فرض البحث على الباحث منهجه، وهو تقسيم الموضوع إلى تمهيد وأربعة مباحث. تحدث في التمهيد عن الواقعية النقدية، و بلزاك ، وعن رواية المتصيدة، وفي المبحث الأول: تحدث عن انعكاس الاستغلال المادي في الرواية، وفي المبحث الثاني تحدث عن انعكاس الفساد الأسري في الرواية، وفي المبحث الثالث: تحدث عن انعكاس حال المرأة في الرواية، وفي المبحث الرابع تحدث عن انعكاس ثقافة بلزاك.

التمهيد

١ - الواقعية النقدية:

مصطلح الواقعية النقدية أطلقه النقاد الماركسيون على الواقعية، التي عبرت عن نقد البورجوازية لنفسها، مثل واقعية بلزاك.[١] التي كانت من أهم الأفكار التي أسست للواقعية بشكل عام[٢].

وقد اهتمت الواقعية النقدية بالنثر وبخاصة الرواية، وامتازت بالنزعة التشاؤمية والسوداوية، والهجائية الناقمة على الأوضاع الاجتماعية،و عمدت إلى العرض والتحليل دون أن تعطي حلولاً مباشرة، وإنما سعت إلى تقديم نماذج بشرية، واعتمدت على رسم الشخصية من الناحية الجسمية والفكرية والنفسية والاجتماعية.[٣] ويصر رواد الواقعية النقدية على كسر قانون الانعكاس، فيؤكد

زعماؤها أن الفن دائماً مواجهة للواقع بكل أبعاده، وأن العمل الفني دائماً واقع جديد، بمعنى آخر فهو ليس انعكاساً، وإنما هو تحويل ونفاذ يمارس كواقع جديد، يضاف لما هو موجود بالفعل. وهو تشدد مبالغ به؛ إذ يؤدي إلى ضياع الحقيقة التي يحاولون الإعلاء من شأنها وعكسها في أعمالهم، وهذه الحقيقة هي الواقع المعيش، وبالتالي فالتعامل مع النص على أنه ليس انعكاساً للواقع، يعني أنه مخترع من خيال الكاتب، وهو الذي تنكره الواقعية النقدية نفسها وتستبعده،" فبلزاك –مثلا– أخذ رواياته من الحقيقة المعاصرة له لا من التاريخ ولا من الخيال "[٤] باتفاق الجميع ،يقول لوكاش: " تبرز عند بلزاك الأفكار المتولدة ضرورة من المجتمع البرجوازي والمنعكسة على الإنسان والمجتمع والفن"[٥]، كما أن بلزاك يقول في مقدمة الكوميديا الإنسانية: انه مجرد أمين سر للمجتمع، بمعنى أنه فقط يعكس في كتاباته ما يراه حقاً على أرض الواقع[٦].

إلا أن أدباء الواقعية النقدية –ومنهم بلزاك– يحاولون عكس المجتمع في أعمالهم بأسلوب أدبي جميل؛ لأنهم أولا أدباء "قادرين على التنقيب في الواقع، لاكتشاف النموذج الحقيقي وهم في نفس الوقت مرآة كاشفة للمجتمع"[٧] وقد يميلون إلى المبالغة والتفخيم، لكنهم بذلك الأسلوب يزيدون الحقيقة عمقاً. وبالتالي "، فالواقعيون الكبار مثل بلزاك وستندال وتولستوي يتحدثون دوماً في أهم الأسئلة التي يطرحونها عن أكبر المشاكل المعاصرة في حياة الشعب، أما مغالاتهم وتفخيماتهم الأدبية فهي دائماً متسمة بهموم الشعب وآلامه"[٨]. عكس أصحاب المذهب الطبيعي تماما الذي يراه لوكاش انعكاسا ميكانيكيا مباشرا للحياة اليومية الرأسمالية، كما وضح في طريقة زولا، ويرى أن طريقة بلزاك قائمة على اكتشاف الدلالة الاجتماعية والإنسانية للنضال في الحياة نفسها، وتكثيفها فنياً بطريقة مناسبة[٩]. وليس هناك علاقة بينهما غير أن الطبيعة امتداد متشدد للواقعية النقدية، من حيث

تركيزها على الواقع، وإن شئنا الدقة فهي كما قال غاتشف: "إن واقعية بلزاك مُسخت لتصبح مذهباً تجريبياً على أيدي أنصار المذهب الطبيعي" [١٠]

٢ - بلزاك:

يعد الكاتب لاونريه دي بلزاك(١٧٩٩-١٨٥٠) أبا الواقعية التحليلية النقدية؛ كونه من الروائيين المبدعين الذين حققوا إنتاجاً ضخماً حول العلاقات الإنسانية[١١]، من خلال اهتمامه بالمدينة وعالمها ؛إذ كان" أول من أبرز تأثير المدينة في تصرفات الأشخاص وأفكارهم "[١٢]. ولعل أبرز ما دفعه إلى اتخاذ منهج الواقعية: منهج الوصف المفصل لأنماط الحياة، وقوع المجتمع الأوروبي تحت تأثير ظروف قاسية، حفلت بانخفاض الأجور وسوء التغذية وضيق المساكن، فانتشرت بينهم الرذائل وتعاطي الخمور والمخدرات والدعارة وأعمال السرقة، التي عبر عنها بلزاك في أعماله[١٣]، التي نالت كثيرا من الإعجاب لدى الدارسين والنقاد الغربيين[١٤] وصارت النماذج الأصيلة للواقعية. ولعل "بلزاك كان الكاتب الوحيد في عصره الذي أدرك أن مجتمعه سائر إلى الانهيار، فراح ينفذ بحسه الدقيق إلى التناقضات، التي تقوم عليها الحركة البورجوازية الفرنسية ... وأبى أن يتغاضى عنها، وأن يتملقها وجنّد قلمه لإنقاذها"[١٥]، فسلط عدسته الناقدة على عوامل سحق هذا المجتمع للضعفاء من أمثال: الأب غوريو في رواية معنونة باسمه: " الأب غوريو "، وكيف بذل كل ما جمعه من ثروة لتزويج ابنتيه من رجلين ينتميان إلى الطبقة البورجوازية، لكن الزوجين لم يكونا يعطيان للفتاتين شيئاً، وظل الأب يعمل ويقتر على نفسه لإسعادهما، وكانت النتيجة القاسية أن الفتاتين أنكرتا جميله وأبوته، ومنعتاه من دخول منزلهما فكان جزاؤه أمر من جزاء الملك لير!![١٦] يقول لوكاش:" لا أحد مثل بلزاك أحس بعمق الآلام اللاحقة بكل

طبقات الشعب من جراء الانتقال إلى الإنتاج الرأسمالي والانهيار الروحي والأخلاقي العميق"[١٧].

وقد وضح تأثيره في الواقعية بمختلف اتجاهاتها، ولم يقتصر تأثيره على الأدب الغربي: الإنجليزي والألماني والروسي والأمريكي والاسباني[١٨]، بل امتد الأثر إلى الأدب العربي الحديث؛ إذ ظهر أثره في نشأة الواقعية في كتابات الكتاب العرب، خصوصاً بعد ثورة ١٩١٩م في مصر؛ إذ وجدنا" موجة عارمة من الكتاب والنقاد تنادي بمذهب الحقائق: الترجمة المبكرة للواقعية (Realism)"[١٩] ولاسيما في أعمال نجيب محفوظ[٢٠]، وبخاصة "الثلاثية" فهي رواية واقعية رصدت واقع مصر بين ١٩١٩، ١٩٤٥م من خلال أسرة واحدة. وقد "استمر تأثير بلزاك على الآداب العالمية، لأن جاذبته كانت ضخمة واستمرت حتى القرن العشرين" [٢١].

ورؤية بلزاك إلى الأدب تتلخص في أن الأدب تاريخ مجتمع، والأديب مؤرخ للمجتمع وأمين سره (سكرتير المجتمع)، يسجل ما يمليه عليه المجتمع نفسه[٢١]، ويتضح ذلك من العنوان الفرعي لعمله الضخم "الكوميديا الإنسانية":"دراسات في طبائع القرن التاسع عشر"[٢٢]؛ إذ كان هدفه إحصاء العيوب والفضائل[٢٣]. ومع ذلك فلم يكن يستعمل أسلوب الوصف الحرفي،أو طريقة المحلل الاجتماعي، كما ذكرنا آنفاً،وإنما كان يصف بعيني أديب؛ "لأن بلزاك كان قبل كل شيء فنانا" [٢٤]، يقول ستوك:" ويتميز أسلوب بلزاك الروائي بالوصف، الذي يعد قمة الواقعية، مع تمتعه بنظرة شخصية ثاقبة في السلوك الإنساني المعاصر له في فرنسا"[٢٥].

ومن الأدلة على اهتمامه بالصياغة والإتقان، ما كان يبذله من جهد في تنقيح أعماله[٢٦].

ومن مميزات بلزاك الفنية القدرة على رسم الشخصيات لا من الداخل على طريقة الرومانسيين في رواية الترجمة الذاتية ،ولكنه كان يجعل الشخصية جزءاً من مجتمعها وبيئتها، وإن كانت له آراؤه السياسية الخاصة، فقد التزم الموضوعية الكاملة في تصويره لمجتمع عصره.[٢٧] وبالتالي فقد نجح في إيجاد الشخصية المكثفة والعميقة والمعبرة في النهاية عن الإنسان والجماعة[٢٨].

وكان لبلزاك اهتمام بالسحر وعالم الغيب كما هو واضح في الكوميديا الإنسانية [٢٩]،ولعله قد اكتسب ذلك من إطلاعه على التراث الشرقي، خصوصاً أنه قد اطلع على البوذية، وكان على معرفة بوحدة الوجود والحلول، وكان معجباً بالتراث المصري القديم [٣٠] ولا نستبعد تأثره بالصوفية الإسلامية.

ولم يسلم بلزاك من الحساد والحاقدين مثله مثل أي عبقري في القديم أو في الحديث[٣١]. والحق أن هذا كله شهادة من أعدائه له وحجه تدل على تفوقه وسعة ثقافته، ومن أجل ذلك أشاد رينيه ويليك بسعة ثقافته [٣٢]، ويعد تأثيره في رواد الواقعية في مختلف الآداب آية أخرى على عبقريته.

أما عمله الروائي الذي اشتهر به فهو " الكوميديا أو الملهاة الإنسانية" الذي نشره ١٨٤٢م وعد نفسه في مقدمتها أنه دارس للأنماط الاجتماعية [٣٣]، و"هي أعظم موسوعة في الأدب الواقعي تشتمل على مائة وخمسين قصة"[٣٤].

٣ -رواية المتصيدة:

رواية المتصيدة رواية مهمة وذات شأن كبير، وقد مرت بتسميات عدة فقد عنونت لمدة طويلة بعنوان :" عائلة عازب " كما صنفت في " الملهاة الإنسانية " مع " بييرت " و " كاهن " بعنواني " العزاب " و " العازبون ".

وكتب تحت عنوان " المتصيدة " عنوانا توضيحيا تحدث عن ماهية الرواية وهو : " دراسات طبائع مشاهد من حياة المقاطعات " ، ويدل ذلك دلالة واضحة أن الرجل لم يكن يكتب رواية خيالية، وإنما كانت روايته واقعية مائة في المائة، كما قلنا سابقاً، ولعل هذا الاتجاه يوضح لنا سر إهداء هذه الرواية إلى الكاتب شارل نوديه، وهو أديب فرنسي له روايات سوداء وخارقة، مهدت السبيل أمام السريالية للظهور في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، قدم له بلزاك هذا الإهداء في أواخر العام ١٨٤٢م كما يقول مترجم الرواية[٣٥]، ولعل بلزاك يقصد بذلك لفت أنظار هذا الكاتب إلى ضرورة الكتابة عن معاناة الشعوب ومشكلاتها، وعكس صورة تحليلية عن المجتمع لمعرفة سلبياته ومحاولة علاجها بدلاً من اللهاث وراء عوالم مثالية مستمدة من خارج الواقع، إما من اللاشعور الفردي او اللاشعور الجمعي اللذين عني بهما عناية شديدة رواد السريالية فيما بعد، أي بعد أن ظهرت نظريات علم النفس التحليلي على يد كل من فرويد ويونج وغيرهما في مطلع القرن العشرين .

المبحث الأول :انعكاس الاستغلال المادي في رواية المتصيدة :

تجسدت الواقعية النقدية على يد بلزاك خصوصاً في مجموعته القصصية المشهورة " الملهاة الإنسانية " التي استطاع بها بلزاك أن يسلط عدسته النقدية على المجتمع، حتى يكشف داء مجتمعه أولاً ليرى هذا المجتمع إلى أي حد صار بعيداً عن القيم والأخلاق الإنسانية ،وينقل للعالم صورة صادقة عن هذا المجتمع ؛ولم

يكن يكذب بلزاك حين ألف رائعته (الملهاة) أو يتخيل، بل كان يحاول أن يعكس ذلك المجتمع الذي وصل إلى دركة متدنية من الإفلاس في القيم، وصار الطيب فيه شخصية غبية غير قادرة على التعامل مع الواقع .

لقد نجح بلزاك نجاحاً باهراً في عكس الواقع في ملهاته، واستطاع من ناحية أخرى أن يكتشف تغلغل فلسفة " هوبز " الفيلسوف البريطاني في المجتمع الفرنسي على وجه الخصوص، التي يلخصها القول المشهور الذي استعاره هوبز من الكاتب الروماني الشهير " بلوتوس " : " إن الإنسان ذئب يحاول البطش بأخيه الإنسان !!" (٣٦).

هذه الفلسفة التي طبقها تطبيقاً حرفياً المجتمع الأوروبي الرأسمالي في هذه الفترة من القرن " التاسع عشر. ولندلل على زعمنا من خلال الرواية الثالثة من " الملهاة الإنسانية " المعنونة ب" المتصيدة " فالمتصيدة ما هي إلا فتاة ريفية بريئة سذاجة اسمها " فلور " غلبت عليها تسمية " المتصيدة " لتكون آية على سلوكها الساذج أثناء طفولتها، حين كانت تساعد عمها في صيد السمك عن طريق تعكير المياه، وهي عادة كان أهالي قريتها يفعلون ذلك، حتى تقع أسماك القريدس في الشباك ،وعلى سلوكها الماكر حين تعلمت المكر والخيانة وخلعت برقع الحياء والبراءة فيما بعد ،وباشرت صيد الثروات ،من خلال استغلال (العجوز) روجيه الطبيب، الذي بُهر بجمالها حين رآها وهي تعكر المياه للصيد، فأخذها وهي في سن الثانية عشرة لا تعرف من الحياة أكثر من تعكير الماء من أجل الصيد! أخذها إلى منزله مدعياً إنقاذها، وهو في الحقيقة يريد استغلال جمالها وفتنتها، وبذلك زرع في نفسها الأذى فحولها إلى فتاة ماكرة مستغلِّة، فكان جزاؤه أن سقته أول كأس عصرتها من ثمرته! ولم تكن كذلك لولا المجتمع المادي الأناني الذي كانت تعيش

فيه هذه الفتاة، والذي كان روجيه أحد أبطاله،فقد كان روجيه على ما يبدو من وصف شخصيات الرواية له إنساناً فضيعاً مستغلاً.

إذن سمة استغلال البراءة نجدها بشكل واضح في صورة الطبيب "روجيه " الذي لخص الكاتب بلزاك رؤيته عنه بقوله :" في العام ١٧٩٢م وجد طبيب اسمه" روجيه " ما كراً وحشاً يستجيب إلى نوازع سيئة يخفيها"![٣٦] هذا الرجل استطاع بخبثه ومكره استغلال براءة الطفلة " فلور "، ومع الأيام صنع منها قنبلة من الأخلاق والقيم المدمرة، فهي الوحيدة من ضحاياه التي حذقت المكر والدهاء – كما قلنا قبل قليل – أحب أن تكون له وحده بجمالها وفتنتها وكيانها بطريقة غير شرعية، وقال كلمته الفاصلة: " يكفيها جمالها ثروة !! "[٣٧].

لم تكن " فلور " الجميلة تعلم أنها السمكة التي سوف تقع في شباك دهاء هذا الأفّاق، الذي يعد نموذجاً للأفاقين، الذين ملئوا فرنسا في تلك المرحلة خاصة وأوربا عامة ؛ واستغلوا طيبة الكثير من أبنائها الذين كانوا لا يملكون حق النقد لأفعال هؤلاء سوى الهمس في آذان بعضهم البعض، كما يصور ذلك بلزاك بقوله: " قال أحدهم بعد سنتين من وجود المتصيدة في بيت الطبيب: ماذا تريد أن يفعل قرد عجوز في عمره هذا بفتاة في الخامسة عشرة !"[٣٨] .

لكن هذه الطفلة في يوم ما شبت عن الطوق، وراحت تستغل المستغِل (الدكتور روجيه)، وانعكست الآية فصار هو النعجة وهي الذئب، وتحققت مقولة هوبز السالفة الذكر، وهي " إن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان "، وهي العبارة التي غدت أساسا فلسفيا للواقعية النقدية في أوربا، وها هي تتحقق في هذه الرواية بوضوح؛ فالآكل صار مأكولاً، ويدل ذلك على انعدام قيمة التراحم في هذا

المجتمع، فقد خيم على المجتمع الأوروبي بعامة وفرنسا بخاصة في عهد بلزاك انتشار الروح الفردية والعنف والكراهية والتنافس على الثروات الذي عبرت عنه روايات كثيرة مثل روايات الكاتب البريطاني " ديكنز " والكاتب الذي نحن الآن في صدد روايته (بلزاك).

أما النموذج البشري الثاني الشرير المستغِل في الرواية الذي له عدة صفات سيئة منكرة هو " فيليب " ابن أخت الطبيب روجيه، تزوج من هذه الفتاة " المتصيدة " فلور" بعد وفاة خاله، ولكن بعد سلسلة من الأحداث كانت نتيجتها أن أوقع بها وكسر جناحها، بعد مبارزة خاضها مع عشيقها ماكس ،الذي كان هو الآخر قد حاول استغلالها عن طريق ادعائه أنه يحبها، فوقعت في حبال هواه، وكان هدفه الحقيقي استغلالها في مجال سرقة الدكتور روجه، اكتشف فيليب الخطة فأفشلها على الفور، وأنهى الموضوع بمبارزة ألقت بماكس في أحضان الموت، يقول بلزاك في الرواية كاشفاً نوايا فيليب نحو المتصيدة: " قتلت الأكثر سمية من الوحشين ... تبقى الأفعى الأخرى التي سأحاول التفاهم معها لأن خالي متمسك بها تمسك الدجاجة بحوصلتها "[٣٩].

كانت المرأة المتصيدة قد وقعت في نوبة عصبية حادة ،جعلتها أشبه بوحش جريح ،وبدأ حبل الاستغلال ينتقل إلى فيليب الذي نصح خاله بالزواج منها مقدمة لاستغلال الجميع يقول بلزاك: " قال لها فيليب: يا ابنتي العزيزة أنا من نصح بزواجك من خالي منذ البدء، وإن وافقت فسيتم هذا الزواج ... ونعيش جميعاً سعداء .... وستحرصين على ألاّ ينساني خالي في وصيته "[٤٠] ، ويعلل ذلك بقوله: " يجب أن ندرك أن المصالح في الحياة تأتي قبل العواطف "[٤١] .

لقد كانت " فلور " ضحية ثم ذئبة ثم ضحية، كانت ضحية عندما استغلها الطبيب وأخرجها من براءتها ومن طيبتها الريفية، وكانت ذئبة عندما استغلت حب هذا الفاسق العجوز، وخططت في النهاية لسرقته؛ يقول ماكس في الرواية للمتصيدة مشجعاً لها على استغلال الرجل: " شخص بمثل هذه البراءة ماذا سيحل به إن تركتِه ؟ حيث تربط العنزة يجب أن ترعى "[٤٢]، ثم ضحية على يد فيليب ، وحصد كل من الطبيب وابن أخته الشرير " فيليب " ما زرعته أيديهم من الفساد في الأرض، ومن استغلال الناس وتحولا أيضاً إلى ضحايا، فقد انتهى الطبيب نهاية سيئة بعدما أُستغل من قبل المتصيدة " فلور " ومن قبل فيليب، ولقي فيليب جزاءه العادل " على يد الجزائريين الثوار في الجزائر فقد كان لسوء حظه قائد كتيبة في الجزائر !"[٤٣].

و لقي ماكس المستغل حتفه – كما ذكرنا – في مبارزة غير متكافئة مع " فيليب " الذي كان على معرفة تامة بمخططه حيث يقول في الرواية : "إنني أعتقد أن ماكس والمتصيدة أعد خطة لنشل دخل " ٥٠ " ألف فرنك المودعة في السجل الكبير والذهاب للزواج في مكان ما، بعد أن يكونا قد نتفا ريش حمامتهما "[٤٤] .

لقد كان" فيليب " شخصية عدوانية استغلالية ذات نوازع سيئة دميم الخَلق والخُلق،بحر من المكر والخيانة والوحشية والأنانية والدناءة، وصفه أخوه جوزيف النقيض تماماً بقوله:"فيليب يجرنا دائما من أرجلنا ...فلا يبدو عليه إلا انه يتكيف مع كل الأوضاع"[٤٥]، وقالت له أمه زاجرة إياه ،لأنه كان يطالب العجوز دكوان بمال لأمه ،وهي تحتضر بقلة أدب واضح: "انك تقتلها! اخرج يا ولدي ولا تظهر أبدا أمامي ؛انك وحش!"[٤٦]، وكأن بلزاك يرسم لنا بهذا النموذج البشري الشرير الشخصية الغربية، ولاسيما الشخصية العسكرية التي لا تعرف من رائحة الإنسانية

شـــــيئا، والتـــــي تتســـــم بســـــمات الاســـــتغلال والأنانيـــــة والعدوانية .

قلما وجدنا في الرواية شخصيات طيبة بعيدة عن الاستغلال، عدا جوزيف وبعض النسوة، ولعل طيبته هذه كانت وراء المشكلات التي كانت تعترض حياته وتوقعه في شباك حزن عميق،وإن كان قادراً في كثير من الأوقات على امتصاص ألمها ووجعها، فعندما حاول أن يدخل مدرسة الرسم، استغله التلاميذ المشاغبون في الفصل من أول يوم؛ يقول كبير التلاميذ لجوزيف : " آه ! تريد أن تغدو فناناً ، لكن أتعلم كم يجب أن تكون واسع الأفق ، وكم يجب أن تتحمل من مشاق ؟ نعم ،يجب أن تمر باختبارات تُضني فيك الأيدي والأرجل ،إن جميع هؤلاء العلاجيم (الضفادع) الذين تراهم خضعوا للاختبارات، فهذا مثلا بقي سبعة أيام دون طعام! لنرى مدى قدرتك على أن تكون فنانا؟ وتناول يده ورفعها في الهواء.. فقال له آخر إيه: اصمد يا لضعفك– فظل مدود الذراعين ظانا أنه الاختبار الأول ،فدخل رجل قصير نظر إلى الفتى المعذب، وصاح بالتلاميذ:"إيه أيها الخبثاء ماذا تفعلون؟" قال أكبر التلاميذ: وهو من أوقف جوزيف على هذا الوضع: إنه شخص طيب نتخذه نموذجا!" "[٤٧] .

ربما يكون جوزيف هذا هو رجل الخير والنزعة الإنسانية الوحيد في داخل هذا العمل، وربما لسوء حظه، خُلق في هذا المجتمع الذي لا يعرف البراءة.

وهكذا نجد المجتمع الغربي واضحاً يستغل بعضه بعضا أمام أعيننا كما صوره الكاتب الروائي الواقعي بلزاك كما شاهده.

المبحث الثاني :انعكاس الفساد الأسري في الرواية :

رصد بلزاك في روايته " المتصيدة " الأسرة في المجتمع الغربي ، فتوصل إلى انعدام الترابط الأسري؛ إذ يرى بلزاك ضرورة تماسك العائلة قبل كل شيء؛ فالأسرة هي أساس المجتمع إن صلحت صلح المجتمع وإن فسدت فسد المجتمع كله.

والأسرة التي ركز عليها بلزاك في هذا العمل الروائي هي أسرة " بريدو " التي يرى بلزاك أن مأساتها التي أدت إلى انهيار تماسكها وتعاونها تكمن في عدم الاستقرار المادي؛ فقد تغيب رب هذه الأسرة وتركها دون شيء، فوقعت في هوة سحيقة من الفقر .وبلزاك في موضع آخر يشبه بريق المال في بيئتهم الغربية بالسحر الذي يتسبب في تفكك الأسر حيث يقول :" السعي إلى المال والربح يدمر الحياة الأسرية ويباعد بين الزوجة وزوجها والبنت وأبيها ،ويحول الزواج إلى جمعية لتبادل المنافع، والحب إلى تجارة [٤٨]"!ومجتمع هذا حاله سوف يؤدي إلى انهيار الأسرة الغنية والفقيرة، فالغنية تحاول أن تكسب أكثر، والفقيرة تريد أن تؤمن حاجاتها الأساسية الحاضرة والمستقبلية.ونحن نوافقه على أن حب المال والسعي وراءه، هو علة من العلل التي تؤدي إلى تفكك بنية الأسرة، ولكن لا نعد الفقر هو العامل الرئيس في تفكك الأسرة؛ فكم من أسر لم تكن تملك شيئاً وكانت من أصلح الأسر، في كثير من الأزمان والأماكن، وأنتجت أفضل الرجال والنساء، وإنما السبب الذي نطمئن إليه ويطمئن إليه الكثير من العقلاء، هو الفراغ الروحي الذي سيطر على الغربي بشكل خاص، فأعمى بصره وجعله لا يفكر إلا في إشباع حاجاته المادية والفسيولوجية، ولذا شكل الحاجة إلى المال عنده السبب الأول لجميع مشكلاته .

" بريدو " هي الأسرة التي تتكون من الأم " أغات " ومن فيليب وجوزيف، فالأم " أغات " كانت العقدة المسيطرة على حياتها عقدة فقدان المال والثروة، رغم العاطفة الدينية التي كانت تدعى أنها تدفعها إلى نقد الأشياء المخالفة للدين؛ إذ كانت ترى أن نساء المسرح كجمرات جهنم فهي تكرهن–في الظاهر– لهذا السبب الديني، إلا أن الحقيقة أنها كانت تكرههن لسبب آخر خفي في لا شعورها العميق، وهو أنها " تعتقد أن هؤلاء النسوة يأكلن الذهب ويشربن اللآلئ ويدمرن أكبر الثروات "[٤٩] وهي بالطبع محرومة من كل ذلك ! تظل المشكلة المادية هي المسيطرة على الأذهان، وهي السبب للمأساة عند الصغار والكبار ،فهذا جوزيف يقول لأمه " أغات " :" وبعد هل تعتقدين أن الحمق يبلغ من أخي حداً يعطي فيه نقوده لماريت (راقصة المسرح)، إن هؤلاء النساء لا يدمرن إلا الأغنياء "[٥٠].

إذن فأول نتيجة لفقدان المال في أسرة بريدو ،كانت في الانهيار الأخلاقي، الذي وقع فيه " فيليب "، أما النتيجة الثانية بحسب رؤية بلزاك: فكانت في إقدامه على السرقة لتأمين انحلاله، فقد " سطا على خزينة الصحيفة وكلف والدتنا اثني عشر فرنك "[٥١] هكذا شهد أخوه جوزيف، وكل ذلك انعكس على تدمير الأسرة اقتصادياً ، النتيجة الثالثة :وقوع " فيليب " في براثن المادية والأنانية ،أو بلغة علماء النفس التحليلي أصيب بعقدة " النرجسية "، فلم يعد يهتم إلا بنفسه، كما أنه وقع أيضاً في عقدة أخرى هي عقدة " السادية "؛ إذ راح في سبيل نرجسيته وساديته لا يبالي بمشاعر الآخرين فيتعمد جرحها والاستهانة بها، ليصل إلى الشعور بالراحة والاستقرار النفسي أثناء تعذيبهم، مما جعل أمه تصفه بأنه "وحش " ![٥٢]وبأنه " بؤرة رذائل "![٥٣] ،وانعكس ذلك السلوك أيضاً على الأسرة، فسبب لها شعوراً بالرعب والخوف منه، وإلقاء تبعات العمل في المنزل على جوزيف أخيه

الطيب يقول : " إني ملزم بالدوام يومياً في قفص الدجاج هذا من التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر "[٥٤].

وكما أن الأسرة هي بنية من بنى المجتمع ،فهي تؤثر وتتأثر إذ لا يقتصر شرها على نفسها ؛ لذا تأثرت أسر أخرى من انحلال ونرجسية وسادية فيليب إلى أبعد حد ،مثل أسرة خاله الدكتور روجيه، ولو أن أسرة روجيه نفسها، كانت في طريقها إلى الانهيار، بسبب انحلال الدكتور روجيه نفسه، ثم كان السبب لانهيار الأسرة كلية هو التآمر على ثروة الدكتور روجيه، ذلك التآمر الذي تم بين المتصيدة " فلور " و"ماكس" من جهة، وفيليب من جهة أخرى ،وكانت النتيجة لذلك قتل النفس، يقول " فيليب ": " لا توجد إلا طريقة واحدة لقتل رجل دون أن يكون للعدالة أقل كلمة تقولها ،وهي الدخول في مبارزة معه (يقصد ماكس) لكنني أعرف على الأقل ثلاث طرق للتخلص من امرأة، أفهمتِ يا ظبيتي"[٥٥] (مخاطباً) " فلور " المتصيدة، وفعلاً عمد إلى قتل ماكس في مبارزة غير متكافئة ؛لأنه كان على درجة عالية من التدريب على المنازلة، بحكم تخصصه العسكري؛ فقد كان في الأصل قائد كتيبة، وكانت النتيجة إصابة فلور بانهيار عصبي، وتم نقلها إلى المستشفى للعلاج،.يقول طبيبها مخاطباً إياها موضحاً مدى اقترافها لجرائم أدت إلى انهيار أسر بسبب سعيها وراء المال : " ألا ترين وجوب العودة إلى الله يا ابنتي؟ كنت سبباً في مصيبة كبرى يجب التكفير عنها "[٥٦].

لقد كان " بلزاك " على حق وهو يضع أيدينا على الداء الحقيقي في المجتمع الغربي، وهو عدم صلاح الأسرة التي بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع، وهو يلمح كثيراً إلى هذه الحقيقة ،فانهيار الأسرة في المجتمع الغربي ولد تفككاً في علاقات أبناء الأسرة الواحدة، ومن ثم في علاقات المجتمع؛ إذ تحول أبناء الأسرة الواحدة إلى أفراد متناحرين، فجوزيف بالرغم انه القلب النابض بالود

والاحترام ،يكن كرهاً لفيليب والعكس صحيح ، والسبب رغبة فيليب في أن يصل إلـى هدفـه الشخصـي، وأن يسـتولي علـى كـل شـيء لصـالحه،والغريب أن هـذه الشخصية هـي المقبولـة فـي لاشـعور الانسـان الغربـي؛ يقول بلزاك :" كـان فيليـب أنانياً لا يحب إلا ذاتـه يقول الكـاهن لأمـه : تـدينين بعيشك لجوزيف، بينما ابنك الآخر ينهبك باستمرار ،الابن المسكين الذي يحبك، دون أن يحظى بحنان مكافئ ! يحمل لك خبزك اليومي بينما الموسر الذي لم يفكر بك يوما، ويزدريك ويتمنى موتك"[٥٧]مفارقة عجيبة: جوزيف نموذج الطاعة والاحترام لأمه يعطي ولا يأخذ شيئا، وفيليب نموذج طافح بالشر يأخذ فقط، والجزاء الذي قدمه هذا النموذج الشرير هو هدم الأسرة وتقويض أركان القيم فيها.ولما كان بلزاك يسعى إلى تقديم نماذج ،ففليب نموذج الشر في المجتمع الغربي كله، ومن ثم فقد هدم المجتمع الغربي بأمثاله الكُثر، لأن المجتمع الغربي كان أشبه بالأم في هذه القصة، فكما سمحت لفيليب أن يدمر كل جميل في الأسرة، سمح المجتمع الغربي للشر أن يتوسع فيه ويقضي على قيم الخير.

ازدادت الأسرة انهيارا بوفاة الأم بسبب تصرف فيليب نفسه يقول بلزاك:" لما ماتت أمه أي جوزيف أرسل رسالة إلى فيليب يقول فيها: أيها الوحش توفيت أمي من الهزة التي سببتها رسالتك لها، الزم الحداد وتظاهر بالمرض؛ فأنا لا أريد أن أرى قاتلها إلى جانبي أمام نعشها "[٥٨]. ثم ما لبثت الأسرة، وأسرة الخال المرتبطة بها أن نسفتا بفعل الشر؛ لأن الشر دائماً يلتهم كل شيء حتى من صنعوه.

المبحث الثالث :انعكاس حال المرأة في رواية المتصيدة

استطاع بلزاك من خلال رواية المتصيدة أن يرسم لنا صورة للمرأة مستقاة من عالمه الواقعي المعاصر له، وقد كان أميناً إلى حد ما في رسم تلك الصورة، ونستطيع أن نستقرأ ملامحها من خلال عبارات الرواية وصورها الفنية في الصور التالية:.

١ - صورة المرأة الأفعى:

خير من يمثل هذه الصورة بطلة الرواية: " المتصيدة " فلور، الطفلة البريئة التي انتشلها الدكتور روجيه إلى منزله من قريتها، وبالرغم أنها في البداية كانت ضحية إلا أنها على ما يبدو كان لديها استعداد للشر؛ إذ أطلقت عليها السيدة هوشون اسم " الطفلة الرديئة "[٥٩] ،مما يدل على أنها كانت تحمل بذرة الشر في داخلها ،وبدلا من أن يقوم المجتمع بدوره الايجابي في إماتة تلك البذرة بالتربية الحسنة، سعى إلى رعايتها وتفقدها بالعناية حتى قوي عودها وآتت أكلها المر ،فحين كبرت ونضجت بدأ شرها ينتشر ويستشري ،فأطلق عليها فيليب لقب الأفعى! فكان لقباً موفقاً إلى حد ما؛ إذ إنها اشتهرت بالكيد والخبث والكره بل والحراسة لمأرب شخصي، وقد تكون الصفة الأخيرة غريبة إلى حد ما عند القارئ،والحقيقة أن المسألة بسيطة جداً، فالأفعى في التراث الفرعوني رمز طوطمي لحماية الإنسان المصري القديم من الأرواح الشريرة، كما ذهبت إلى ذلك الدكتورة ثناء أنس الوجود[٦٠]، وفي التراث الشعبي تعد حارسة للكنوز والجواهر الثمينة، ولعل هذه الدلالة الشعبية هي الأليق بالمتصيدة فلور ،لأنها ظلت تحرس كنوز الدكتور روجيه ،وتمنع عنه الأقلام والأوراق نهاية عمره، حتى لا يفكر في الإيصاء بأي جزء من ثروته لأبناء أخته .وبهذا استكملت المتصيدة جميع صفات الأفعى المؤذية.

٢ - صورة المرأة المستعلية الشرسة:

خير مثال لهذه الشخصية في الرواية الفتاة فلور أيضاً؛ إذ وصفتها إحدى الشخصيات في الرواية بالقول: " لا شك أن المتصيدة لعبت مع معلمها بعض أدوار النساء، كما في مسرحية :" البندقية المحررة "لأتوني"[٦١]، وهي مسرحية للشاعر الانجليزي أتوني(ت١٦٨٥)، استغل بلزاك منها الدور الذي يُرى فيه انطونيو، وهو في الواحدة والستين من العمر، يزحف على الأرض كالكلب ،وخليلته الشابة توجه إليه ضربات سوطها"[٦٢]، والعبارة ترسم لنا هذه المرأة في هذه المجتمعات، وترسم لنا صورة المجتمع أيضاً فكلاهما ذئب: المرأة والمجتمع، المجتمع الذي ظلم المرأة الصغيرة العمر، وزوجها من شيخ بعمر أبيها أوجدها، والمرأة الضحية التي تربى لها مع الأيام مخالب وأنياب، وصارت تنهش بهما ضحاياها، فكلاهما يفتك بالآخر ،وكلاهما ذئّب الآخر، ولعل الصورة صورة عالمية للمرأة الشابة الحسناء المتزوجة من رجل كهل، ومن صفات هذا النموذج الثانوية التي قد تتحقق، الخيانة للزوج الكهل، كما فعلت المتصيدة مع ماكس.

٣ - صورة المرأة العاصية المستهترة :

وهذه الصورة كانت في وجدان من كان يجرّم العمل المسرحي للمرأة في ذلك العهد، كالسيدة أغات يقول بلزاك : " العاطفة الدينية كانت تدفع " أغات " لرؤية نساء المسرح كجمرات جهنم ،كما انها مع نسيبتها تعتقدان أن هؤلاء النسوة يأكلن الذهب ويشربن اللآلئ ويدمرن أكبر الثروات "[٦٣]، والتأمل في الصورة الفنية القائمة على التشبيه يتخيل حيزا موحشا لهؤلاء النسوة يوحي بالدمار والفناء والألم والاستغلال، وتترسم النساء أمامنا، وقد جُمّدن في صورة جمرات جهنم ،لا وظيفة لهن إلا الإحراق والدمار!! وتكشف لنا هذه الصورة رؤية أغات نحو هؤلاء النسوة، التي تتلخص بخبث هؤلاء وانعدام الإنسانية والرحمة لديهن، كما ترسم الصورة حيزاً موحشاً آخر يظهر فيه هؤلاء النسوة وهن يأكلن الذهب ويشربن اللآلئ، للإيحاء

بتلك الشراهة غير المعقولة واللامنطقية لجمع المال، حتى غدا عاملاً أساسياً لبقائهن في الحياة ،كالماء والطعام تماما، دون النظر إلى ماهية مصدره، وفي ماذا يمكن أن يصرف، بما يوحي بالشره العظيم لكسبه والبخل به والحرص عليه، فلا يستفيد منه أحد، ومعنى ذلك أن هذا النموذج البشري من النساء، يعد قمة في الإيذاء وفي عشق المال، وفي تدمير المجتمع.

وبلزاك في عمله الروائي بشكل عام، وهذه الرواية بشكل خاص يعتمد – كما قلنا مراراً –على التحليل وعلى حسن الاختيار، الأمر الذي جعله يركز على هذه الصورة بالذات، لأن هذا النموذج أولاً كان منتشرا في البيئة الفرنسية. والشيء الثاني: أنه لم يكن راضياً على هذا النموذج ،كما يتضح من صوره الفنية ، لما اتسمت به من انحراف عن الإنسانية إلى مهاوي الضلال والاستغلال لعواطف العامة لسرقة جيوبهم وأكل لحومهم وهدم حياتهم، لذا كان التصوير الفني لهذا النموذج البشري تصويراً في منتهى الفظاعة، فقد أحال الآدمية إلى جماد ،ثم جعل من هذا الجماد جمراً مشتعلاً، ولم يكتف بتلك الصورة البشعة، بل جعله وقود جهنم وفي الصورة الأخرى التوضيحية، نجد هؤلاء النسوة في أوحش صورة معبرة عن منتهى الشره للمال، حتى تحول إلى أكل وشراب، وكأن المال هو المادة التي تحيا بها هؤلاء النسوة كما قلنا، فإذا انعدم توقفت حياتهن، ويؤكد هذه الرؤية على لسان جوزيف لأمه: "أغات" وبعد هل تعتقدين أن الحمق يبلغ من أخي حداً يعطي فيه نقوده لماريت (راقصة المسرح)، إن هؤلاء النساء لا يدمرن إلا الأغنياء"[٦٤]، فهو يضيف إلى صورة المرأة العاصية سمة المرأة المستغلة، لا ناس معينين وهم الأغنياء، ويستعمل الصورة الفنية لتوضيح حجم هذا الاستغلال، الذي يصل إلى درجة امتصاص كل أموالهم ،والصورة ترسم هؤلاء الأغنياء، وقد وقعوا في شر أعمالهم وصاروا لا يملكون شيئاً، وصار كل شيء حولهم حطاما، مالهم

وكراماتهم ،فاكتسوا بالحسرة والندم على ذلك، وابتعدت عنهم هؤلاء النسوة، لأنهم لم يعدوا من الأغنياء ،لذلك كان ركن الصورة الفنية " يدمرن" له إيحاءات كثيرة منها الإيحاء بالإفلاس من المال والروح والنشوة والفرح وابتعاد هؤلاء النسوة عنهم ، لأن المدمِّر الشرير، لا يبقى بعد ذلك مع المدمَّر، بل يتركه أنقاضا وحطاما وينسل هاربا، ويذهب إلى تدمير آخر.

وتضيف السيدة دكوان إلى الصورة سمة أخرى، وهي سمة التحريض على الشر، فكأن المرأة العاصية هي نمط من أنماط الشياطين يقول بلزاك : " قالت السيدة لاتقنطي ان الفتى التقى بامرأة فاسدة دفعته إلى أعمال جنونية "[٦٥] فركزت على سمتين هما: الفساد والدفع إلى طريق الشر، وهما سمتان لا يتسم بهما كثيراً إلا الشياطين .

٤ - صورة المرأة النادمة:

وتمثلها السيدة دكوان، وهذا النموذج قليل إذا ما قيس بالنماذج الشريرة، يقول بلزاك مصوراً هذا النموذج: " قالت السيدة دكوان لأغات: إن جميع الأهواء تقود إلى الإفراط، إنني ألوم نفسي على خطيئة من هذا النوع، مرت علي في حياتي، ومع ذلك فأنا أعتقد إنني امرأة شريفة ! إن خطيئة واحدة لا تشكل عاراً "[٦٦] ،فبلزاك وهو يضع أمامنا هذا النموذج –الذي هو قليل في هذه البيئة إذا ما قيس بكثرة النماذج الأخرى كما ذكرنا – يحاول أن يميل في العرض إلى تحليل وكشف نفسية هذا النموذج، وكأنه يرى أن هذا النموذج يحاول أن يبرر سقطته حتى يتخلص من تأنيب الضمير ونلمس ذلك في جملة :" فأنا أعتقد .... " وتفسيرها في الجملة التالية لها: "إن خطيئة ... "، وقد أحسن المترجم باستعمال أدوات التوكيد، لأن الشخصية تحاول أن تخفف من لسعات الضمير وجلد الذات من جهة، وتقنع

المخاطب والمجتمع من جهة أخرى، وبالرغم أن المجتمع من حولها، يسير في سبيل واحد، ويعزف على وتيرة واحدة في اجتراحه الشر ،إلا أن هذا النموذج يتسم بقدر ما من الخير ويقظة الضمير، ولعل هذه الصور المتلاحقة في التفسير تدلل أن المجتمع بالرغم من أنه شرّير، إلا أنه في الوقت نفسه يدعي الصلاح والخير،وهو أثر من آثار الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها،فطمستها الفتن ؛لان الإنسان في الشرق أو الغرب يكره أن يوصم بالشر مهما بلغ شره!! فخافت من لسعات الألسن في هذا المجتمع . وتتحول عبارتها التبريرية حجة، تقول إحدى الشخصيات: " الخطيئة الواحدة ليست نقيصة هكذا قالت السيدة دكوان !!"[٦٧] بالرغم من إقرار السيدة دكوان على خطر اقتراف الخطيئة؛ إذ هي في نظرها تقود إلى الإفراط في اقتراف الخطايا ،ومن ثم الوقوع في الشر المادي والمعنوي، وقد كان هذا الاعتقاد موجوداً في أوروبا خصوصاً في العصور الوسطى، وهو أثر من آثار الاعتقاد الديني في أوروبا، فقد جاء في رسالة يعقوب :" ثم الشهوة إذا حملت تلد خطيئة، والخطيئة إذا حملت تنتج موتاً"[٦٨].

٥ - "صورة المرأة الأم":

صورة الأم بسماتها المعروفة: الرأفة والرحمة والشفقة والتضحية، تتمثل في السيدة " أغات " التي كانت تغدق للجميع الحب، لأولادها والآخرين، فقد وقفت ضد ابنها فيليب في موقف إنساني رائع، وذلك حين كان يطالب العجوز دكوان بدين لأمه، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، فما كان من الأم " أغات " إلا أن طردته ووصفته بأنه وحش كاسر.

ففي مثل هذه المواقف تتضح لك صورتها الإنسانية النبيلة النادرة في هذا المجتمع، الذي يقل فيه من يقف إلى جوار الإنسان بدون غرض ما أولاً، ثم هي

لا تبالي بالمال الذي سوف تفقده في حالة موت العجوز؛ لأن العجوز لم توص بـه، وأمـا الثالثـة فهـي تـأبى الاسـتماع لابنهـا، وتصـمم علـى طـرده وتنعتـه بأبشـع الصفات، بل وتمسخه حيواناً شرسا، ثم تجمده في صورة بؤرة رذائل!! وبهاتين الصورتين استطاعت الأم بعاطفتها أن تفرق بين الإنسان والوحش وبين الفضيلة والرذيلة وبين الحق والباطل.

٦ - صورة المرأة الضحية :

الحقيقة أن المرأة الضحية كانت النموذج البارز في الرواية، وهي تمثل المرأة المسكينة المعتدى عليها وعلى حقوقها، ويبدو من خلال الرواية أنها تشكل رقماً كبيراً في داخل المجتمع الأوروبي حينئذٍ، ويدل على ذلك أيضاً تراثهم، يقول نيتشه عاكساً رؤية المجتمع الغربي إزاء المرأة بشكل عام:"إذا ذهبت إلى النساء فلا تنس السوط هكذا تكلم زارادشت"!![٦٩] وفي التراث الشعبي ؛الذي نجده في الرواية ،التي سجلت بعض ما كان المجتمع يسرده من الأمثال والحكم التي تعكس رؤيتهم إزاء المرأة ،التي تتلخص في اعتبار المرأة كائناً قد يكون أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان! وهذا منتهى التجني عليها وعلى إنسانيتها، من تلك الأقوال ما سردها بلزاك قائلاً:" على الرجل أن يكون صلباً، هذه الحكمة سببت التعاسة لكثير من النساء "[٧٠]، فهذه الرؤية الناقدة من بلزاك تشير إلى عمق المأساة في حياة المرأة الأوروبية حينئذٍ، وكأن المرأة إذا لم تستخدم معها الشدة، فمن المحتمل أن تتحول إلى امرأة شرسة متسلطة. وهذه الصورة صورة عالمية كانت موجودة في أغلب المجتمعات، ومع ذلك فهناك بعض النسوة لا ينفع معهن إلا الشدة، ولعل أقرب مثال يبدو واضحاً أمامنا هو مثال: "فلور" المتصيدة التي تنمرت على الدكتور روجيه، عندما أحست بضعفه وشغفه بها[٧١].

ومن صور المرأة الضحية في هذا المجتمع التي عكستها الرواية، المرأة التي يتزوجها الرجل المسن وهي في سن الورد، وقد حاول بلزاك ضمنا التلميح إلى أثر الدين في هذا التوجه يقول: " وقال آخر: لا شك أن هذا الفاسق العجوز قد قرأ العهد القديم على الأقل، ورأى فيه كيف أدفأ الملك داوود شيخوخته "[72] "والحقيقة أن هذا الذي يحصل ماهو إلا من العادات والتقاليد الشعبية، ومن اليهود الذين حرفوا الكتاب المقدس " التوراة "، وأدخلوا فيه كثيراً من عادات وتقاليد الشعوب، وقد كشف فريزر ذلك في كتابه المشهور: " الفولكلور في العهد القديم"؛ فليس للدين أي علاقة به. فالأمر مجرد عادات، والظاهرة أكثر وجوداً في البلدان المتخلفة [٧٣].

ومن صور المرأة الضحية: الخادمة، ويظهر أن بلزاك قد عالج ذلك في الرواية من خلال مشاهد كثيرة لعل أبرزها صورة " فلور " وهي طفلة، وكانت تخدم عمها في تعكير الماء لصيد السمك، ويظل هو آخذاً دور المرشد والموجه من بعيد! كما يوحي جوابها للدكتور روجيه عندما سألها عما تفعل في المياه فقالت: " إني أحرك الماء من أجل عمي الواقف هناك! "[٧٤]، الصورة الثانية عندما نقلت إلى منزل الدكتور روجيه بوصفها خادمة أيضاً، وإن اختلفت المعاناة، يصف الحالة بلزاك: "المتصيدة الصغيرة كانت مسرورة جدا عند مقارنة وضعها عند الطبيب بالحياة التي تحياها عند عمها لذلك كانت تمتثل لجميع متطلبات سيدها كامتثال العبد الرقيق في الشرق"[٧٥].

فإن تخاذلت أو قصّرت في الخدمة كان لابد من ضربها يقول فيليب: ""سأجعل تلك الفتاة الجميلة تسير بإشارة من إصبعك أو نظرة من عينيك... وإن لم تمتثل لذلك فالجلد نصيبها! أجاب خاله: أوه! لن أتحمل ذلك فأية ضربة تلحق بفلور تصيبني في قلبي! فرد فيليب: ومع ذلك فهذه هي الطريقة الوحيدة للسيطرة على النساء وعلى الخيول "[٧٦] ؛فالنساء في رؤيته أشبه بالحيوانات ،تحتاج دائماً

إلى السيطرة بالقوة والعنف، وإلا تمردت وجمحت ولا سبيل إلى السيطرة عليها إلا كبح لجامها.وهي صورة وليدة البيئة يقول الشاعر بودلير وهو معاصر لبلزاك: "النساء في رأيي كالحيوانات الدواجن لابد من حبسها وإيصاد الباب دونها ، ومن الواجب القيام على تغذيتها والعناية بأمرها، ومن الواجب في الحين بعد الحين ضربها وتأديبها "[٧٦]. وفي صورة أخرى يشبه النساء بالأطفال يقول فيليب: " إن النساء أطفال سيئون، إنهن وحوش أدنى من الرجل، ويجب بث الرعب في نفوسهن، وأسوأ الظروف لنا في تركهن يسيطرن على إرادتنا"،[٧٧] والصورة تقوم على تشبيه المرأة بإنسان شرير لايعي شره! ثم يرجع بالتصوير إلى مسخها إلى حيوان شرس.

فصورة المرأة الضحية –كما عكسها بلزاك – تتلخص أنها ضحية العادات والتقاليد التي ورثها الأوروبيون، وبخاصة الفرنسيون يقول: " كثير من الأشخاص يخفون وراء تلك البديهية الرهيبة:"على الرجل أن يكون صلباً"[٧٨] وهكذا يؤكد أن المجتمع في ذلك العصر كان ينظر إلى المرأة على اعتبار أنها كائن أقل منزلة من الرجل، وتحتاج إلى القسوة حتى لا تسول لها نفسها مجرد الحلم بالسيطرة على الرجل فضلا عن المساواة به!.

وبذلك نجح بلزاك في إعطائنا صورة واضحة عن المرأة في مجتمعه. ولعل أبرز صورة لها هي صورة المرأة الضحية لأفكار معينة تؤمن بها البيئة، ترى أن المرأة إن تُركت وشأنها تحولت سريعاً إلى نموذج من النماذج الشريرة المسيطرة التي ذكرناها سابقاً، وبالتالي يجب السيطرة عليها بكل وسيلة والاستمرار في تقليم أظافرها حتى لا تجرح أحداً يقف إزاءها، وهي في أحسن ظروفها وحالاتها أن ينظر إليها بوصفها طفلاً شريراً خبيثاً، وهذه الأفكار مستمدة من اللاشعور الجمعي لدى الرجل الغربي إن جاز لنا استعمال لغة يونج: من الاعتقاد الديني والأسطوري معاً، فالاعتقاد الديني المحرف رسخ لديه فكرته الأسطورية عنها، التي استمدت

من عادات الشعوب وخرافاتهم، ففي الأساطير التي ورثها الغربيون والمسيطرة على اللاشعور الجمعي لديهم، أن جميع الشرور التي وقعت على الإنسان إنما مصدرها المرأة، ابتداء من أسطورة " بندورة " وهي أنثى جميلة تزعم الأسطورة أن الآلهة خلقتها لفتنة الإنسان الذكر الذي استفاد من النار التي سرقها برومثيوس له، والكائن الخرافي ذو الأقدام الرهيبة، وذوجسد طائر وأقدام ذات مخالب و له وجه حسناء هو امرأة في الأصل ،وقد ذكره فيرجيل في الإنيادة، كما ذكره دانتي في جزء " الجحيم " من الكوميديا الإلهية، كذلك " ميدوزا "، وهي امرأة شريرة أيضاً في الأساطير اليونانية لها وجه جميل وشعر من الأفاعي، وأي إنسان تنظر إليه مباشرة يتحول إلى صخر أصم، وكذلك " سيلاً " وهي فتاة جميلة تحولت إلى صخرة تمثل خطراً كبيراً على الملاحين بين صقلية وكالابريا. فهذه الأساطير التي بطلتها المرأة إضافة إلى النصوص الدينية المحرفة التي تزعم أن المرأة كائن نجس، وهي التي تسببت في خروج آدم من الجنة، هي كلها شكلت هذه الرؤية المعادية للمرأة، وأن المرأة بطبعها كائن شرير، أما جمالها فهو لا يقل عن نعومة الأفعى أو فراء القاقم وهو حيوان بقدر ابن عرس حسب تصوير بلزاك لفلور حسب وصف إحدى الشخصيات: "غدت فلور ناعمة كالقاقم"[٧٩]، وهذا الحيوان غادر يصيد ضحيته ليلا بحركة سريعة قاتلة! ويعني هذا التصوير والذي يلخص لنا رؤية الغربي إزاء المرأة، أنها إن لم تظل تحت المراقبة بالعين وبالسوط فستغدر بمن حولها!

المبحث الرابع :انعكاس ثقافة بلزاك العالمية في الرواية :

لم يكن الكاتب الفرنسي بلزاك شخصية عادية تلتقط الفتات من الترجمات أو من أفواه الناس، وإنما كانت شخصية ذا ثقافة عالية عالمية، استطاع بها أن يكتب رواياته بطريقة وأسلوب اكسبها الثراء المعرفي[٨٠]، ولما كنا في معرض الحديث

عن أثر ثقافة بلزاك في رواياته، فأنا نستطيع أن نتتبع الأثر الشرقي والغربي في رواية المتصيدة لبلزاك في النظرات التالية:

ففي إيراده لحديث جوزيف عن أخيه فيليب يقتبس شخصية " سرد نبال " في صورته الفنية القائمة على التشبيه يقول جوزيف عن فيليب: " إنه رجل يتكيف مع كل الأوضاع، فعندما أُمّن لمستهترنا مركز مناسب عاش عيشة سردنبال مع فتاة أوبرا "[٨٣]، فبلزاك في هذا المقطع من وصف جوزيف لاستهتار "فيليب" وأنانيته ونرجسيته، يحاول أن يعتمد على الصورة التشبهية، لغرض الشرح والتوضيح وتمثيل حياة فيليب، فاعتمد على التراث الآشوري القديم، وانتزع منه شخصية " سردنبال " الذي هلك على محرقة مع نسائه وكنوزه! وهذه الصورة كفيلة بأن توضح لنا بدقة حياة فيليب القائمة على التهور وعلى الانغماس في الرذيلة والفساد والانحلال والملذات الحسية، حتى لو أدى الأمر في النهاية إلى الفناء والعدمية ، كما تتناص سمات هذه الشخصية مع شخصية " إبليس "، كما وصفها لنا ملتون في "الفردوس المفقود"، فقد جره عناده وكبريائه إلى أن أدخل في بحيرة الجحيم مع إخوانه الشياطين من الملائكة المردة الفسقة، الذين اتبعوه وتكيف المقام له في الجحيم، وبنى له قصراً فيه يخطط لمأساة الإنسان[٨٤].

ويلمس القارئ قدرة بلزاك الفنية في الاستفادة في صورته الفنية هذه، من مصدرين مختلفين: المصدر الشرقي والمصدر الغربي المعتمد أساسا على العهد القديم، وهو بذلك اقتنص سمات: الكبر والعناد والأنانية والإسراف والنهاية المأساوية التي اتسم بها كل من الشخصيتين الأشورية والإبليسية ليخلعها على "فيليب" ليوحي بشخصيته المركبة الغريبة المشكلة من شخصية إبليس روحاً ومن شخصية سردنبال جسداً!

كما تظهر ثقافة بلزاك الدينية من خلال إطلاعه على العهد القديم، فهو يضع على ألسنة أحد الشخصيات وصفاً للدكتور روجيه يقول بلزاك: " وقال آخر: لا شك أن هذا الفاسق العجوز قد قرأ العهد القديم على الأقل، ورأى فيه كيف أدفأ الملك داوود شيخوخته"[85] فالعهد القديم وهو التوراة المحرفة، تحكي ذلك كعادة اليهود في الاستهزاء بالأنبياء والرسل والنيل منهم والطعن في أخلاقهم، فهذا تلميح لما ورد في الإصحاح الأول من سفر الملوك: " وشاخ الملك داوود ... وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ، فقال عبيده فتشوا لسيدنا داوود على فتاة عذراء ...فيدفأ سيدنا الملك فكانت الفتاة الجميلة ابيشبح الشونمية"[86] وهذه الإشارة من بلزاك تحاول أن تشرح لنا وتوضح ما بلغه الدكتور من ضعف، وهو في ذلك لا يقصد إلا تطابق الحالين لا تطابق الشخصيتين، أي الدكتور والنبي داوود ،كما أراد بالإشارة تطابق وسيلة العلاج في الحالين، وهو الفتاة الجميلة، وكأن المتصيدة هي المعادل الموضوعي للشونمية، وبذلك تتحول المرأة في نظر بلزاك وسيلة لقضاء شهوة الرجل فقط، وهي رؤية المجتمع كما تصورها بلزاك.

كما حاول بلزاك أن يوضح لنا خدمة المتصيدة للدكتور بصورة تشبيهية أيضاً مصدرها شرقي يقول: " المتصيدة الصغيرة كانت مسرورة جداًعند مقارنة وضعها عند الطبيب بالحياة التي ستحياها عند عمها، لذلك كانت تمتثل لجميع متطلبات سيدها كأمتثال العبد في الشرق"[87] فهذه صورة توضيحية شارحة أيضاً مستمدة من التراث الشرقي وخصوصاً العربي؛ فقد كان العبد ليس لايملك من أمره شيئا؛ وليس له هدف في الحياة إلا السهر على راحة سيده، مهما كلفه ذلك من ثمن، وهنا تتراءى لنا صورة المتصيدة وتزداد وضوحاً .

كما يتضح لنا اعتماد بلزاك على التراث الشعري والمسرحي الإنجليزي، كما يظهر ذلك من قوله عنها "لا شك أن المتصيدة لعبت مع معلمها بعض أدوار

النساء كما في مسرحية "البندقية المحررة" لأوتوي "[٨٨]، فهو يحيل القارئ على أحداث وأفكار مسرحية الشاعر الإنجليزي:" البندقية المحررة "لأوتوي" المتوفي سنة ١٦٨٥م، وقد أوردناه من قبل. وذلك أيضاً من قبيل التوضيح والشرح لصورته التشبيهية، وفي ذلك إيحاء بصورة المتصيدة التي عرفت كيف تذل الدكتور، وتتقن أسلوب تبادل الوظائف، حين حولت الدكتور روجيه من سيد إلى عبد، وحوّلت نفسها من جارية خادمة إلى سيدة مخدومة!

ويعتمد أيضاً في مصادر صوره الفنية التشبيهية على الأماكن أيضاً فهو يصف المتصيدة قائلاً:" وصلت فلور إلى سن السابعة والعشرين، وبلغت النمو الكامل صارت ممتلئة ونضرة بضة بيضاء كإحدى مزارعات بسين"[٨٩]. وهذا يكشف بجلاء عن ثقافة بلزاك الجغرافية، لكن الأهم أنه قدر على توظيف هذه البلدة في الإيحاء الرمزي؛ فالصورة من أجمل الصور الرمزية ،قبل أن تقوم للرمزية قائمة في فرنسا، فتشبيه "فلور" بإحدى مزارع "بسين" هو خلع جميع صفات وسمات هذه المزرعة الجميلة على فلور للإيحاء بالجمال والحياة والخصب والفتنة والظلال والدفء والبرودة العذبة والأصوات الناعمة.

ومن الكلمات ذات الأصل العربي التي ظهرت في اللغة الفرنسية، واستعملها بلزاك في هذه الرواية كلمة :" Massepain " " مسبن " نوع من الحلويات عرف في فرنسا، وهو في الإيطالية "مزبن" وهو في العربية "متبن" يتألف من اللوز المسحوق وبياض البيض والسكر[٩٠].

ويوضح انتقام ماكس لما لحق بجمعيته من أهانة بما ورد في التوراة، قال ماكس في خطاب وجه إلى الجمعية:"ليس لي الفضل في هذا الابتكار أيها السادة فلنعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، فما هذه الحيلة إلا تقليد لثعالب شمشون

الواردة في التوراة، لكن شمشون كان مشعل حرائق، وبالتالي فهو غير خير. أما نحن فمثل البراهمانيين حماة للسلالات المضطهدة.، كان يركز في خطابه عن أهمية الانتقام من الإهانة التي وجهت إلى الجمعية، من استخدام الفئران لإهلاك المخازن، قال:"سنغذي قوارض صغيرة... ليسعى كل واحد منكم سرا لتأمين عشرين جرذا أو عشرين فأرة حاملا... لا تقدموا لها شيئا... وإذا ضربنا اثنين وعشرين في عشرين كان لدينا اربعمائة قارض إن أطلقت جميعا في مركز الكبوشيين القديم الذين استخدمه فاريو مستودعا للحبوب التي اشتراها فستستهلك كمية لا بأس بها ".فهو متأثر في ذلك بما ورد في الإصحاح الخامس عشر، وهو أن شمشون أمسك "٣٠٠" ابن آوى وأخذ مشاعل ،وجعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلا بين كل ذنبين في الوسط ثم أضرم المشاعل وأطلقها بين زروع الفلسطينيين، فأحرق الأكداس والزرع وكرم الزيتون"[٩١].

كما استغل ثقافته حول العربي في بناء صوره الفنية؛ فإذا صورة العربي في رؤيته صورة الرجل الهادئ كما نرى ذلك في هذه الصورة التشبهية: " نهض الأسباني ببرود، وهو يظهر لفتى المستودع وجهاً هادئاً كوجه عربي"[٩٢]. وتأتي هذه الصورة للتوضيح والكشف والتأكيد، فهو يحاول أن يوضح صورة الأسباني بصورة العربي، ومن جهة أخرى هو يلمح إلى أن الأسبان ذوو أصول عربية[٩٣]. والأهم في هذه الصورة إيحاؤها برؤية بلزاك إزاء العربي، بأنه شخصية متزنة غير قلقة عفوية تلقائية تتميز بالبراءة والصفاء، وهي رؤية مخالفة تماماً لرؤى الكثير من الغربيين، الذين يرون العربي في صورة أقرب إلى الشخصية البربرية.

وفي حوار بيكسيو مع نفسه وهو ينظر إلى فيليب: "إن كنت جليات فإنني أملك مقلاعا ولن تنقصني الحجارة" " تلميح إلى قصة جالوت الفلسطيني في القرآن

الكـريم والتـوراة ومقتلـه علـى يـد سـيدنا داوود عليـه السـلام بضـربة مقـلاع أصـابه حجرها في جبينه(٩٤).

وهكـذا وجـدنا أن روايـة " المتصـيدة " نمـوذج رائـع يكشـف ثقافـة بلـزاك المتنوعة، والتي تعد من أهم مصادر روايته، ومن ثم وجدنا أن بلزاك يعتمد اعتماداً كبيراً علـى التراث الـديني اليهـودي المتمثـل بالعهـد القـديم المحـرف ، كمـا وجـدناه يعرف سمات العربـي ويعرف أصـول المجتمعـات، وقـد اسـتطاع بكـل تلـك الثقافـة الشـرقية والغربيـة إقامـة صـوره التشـبيهيه، التـي كانـت هـي الغالبـة علـى روايتـه، وكانت وظيفتها الأساسية هي الشرح والتوضيح والتأكيد.

النتائج

١- كشف البحث عن مصادر روايات بلزاك في مصدرين هما الواقع والثقافة وأنهما متلازمان في أسلوبه الروائي وخصوصا في رواية المصيدة.

٢- كشفت الرواية عن مجتمع يقوم على الاستغلال المادي بسبب الفراغ الروحي و الأنانية والجشع والذاتية المسرفة،والسعي الحثيث وراء المال، الذي يعد أساس تردي المجتمع الرأسمالي في الشر.

٣- كشفت الرواية أيضاًعن تفكك واضح في العلاقات الأسرية،ويرجع في نظر الباحث إلى الأسباب السابقة .

٤- صورة المرأة في هذا المجتمع صورة متعددة الملامح ،أنتجها المجتمع نفسه من أبرزها:المرأة الأفعى،والمرأة الشرسة المتسلطة ،والمرأة العاصية والمرأة النادمة ،والمرأة الأم،والمرأة الضحية.ويرى الباحث أن رؤية المجتمع المحتقرة للمرأة رؤية ذات مصدر ديني خاطئ مستمد من التوراة المحرفة ومصدر شعبي مغلوط مستمد من قصص الغرب وخرافاته الشعبية وعاداته وتقاليده الموروثة ،وهي التي أنتجت الصورة السيئة للمرأة.

٥- يرى بلزاك من خلال بعض مقاطع الرواية أن التربية المعاصرة له ، تسعى جاهدة إلى تنمية مبدأ احترام القانون دون غرس الخوف من الله أولا وذاك أمر لا يجدي؛ لأن احتيال الإنسان في رؤيته أقوى من القانون.

٦- اعتمد بلزاك على ثقافة واسعة استعملها لصياغة صوره لغرض تقريب صورة الواقع وتوضيحه.من أمثال: فلسفة هوبز ،وفلسفة زرادشت،والعهد القديم،

وآداب الشـعوب الغربيـة والشـرقية وعـاداتهم وتـراثهم الشـعبي، والتـاريخي والجغرافي .

٧- ظهور أثر فلسفة هوبز على الرواية غير أن الفارق أن هوبز يرى الإنسان شريراً على الإطلاق، وأعماله الخيرة شباك تنصب للضعفاء لاقتناصهم، أوهي مجرد قناع يخفي خلفه وحشاً كاسراً! ولا يتصور هوبز البتة أن هناك إنساناً طيباً خالصاً، ولم يكن بلزاك كذلك، فلم يكن متشائماً إلى هذا الحد، فالرواية فيها عنصر الخير كما أن فيها عنصر الشر، فضلا عن أنه أنهى الرواية بانتصار الخير على الشر، فنماذج الشر انتهت نهاية مأساوية، وبذلك أوحى أن القلوب الطاهرة هي الباقية لا القلوب الدنسة.

٨- كشفت الرواية عن رؤية بلزاك حول العربي فهو عنده شخصية هادئة متزنة تتميز بالبراءة والصفاء والرقة والتأمل، وهي رؤية مخالفة تماما لرؤية أغلب الغربيين الذين يرون العربي شخصية أقرب ما تكون إلى الشخصية البربرية العنيفة.

٩- قدم حلولا غير مباشرة خلافا لمن زعم أن واقعية بلزاك كانت تصف دون أن تقدم حلولا.

١٠- أسلوب بلزاك يغلب عليه الصورة التشبيهية، وجاءت للتوضيح والشرح والكشف، وفي ذلك رد على أولئك الذين رأوا في الصورة التشبيهية نمطاً هابطاً من أنماط الصورة.

١١- يميل بلزاك إلى رسم الشخصية، والبيئة من الخارج، ومن الداخل معتمدا الوصف والتحليل خلافا لبعض الدارسين

الهوامش:

(١) شكري عياد " المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين "عالم المعرفة (١٧٧) ص٣٥

(٢) مختار علي أبو غالي " المدينة في الشعر العربي المعاصر " عالم المعرفة ١٩٦ ص١٣٨

(٣) راجع :الرشيد بو شعير " الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية " الأهالي للطباعة دمشق سنة ١٩٩٦م من ص٢٩ – ص٦٠ بتصرف

(٤) راجع: صلاح فضل "منهج الواقعية في الإبداع الأدبي " دار المعارف ١٩٨٠ ص١٢٥

(٥) جورج لوكاش " بلزاك والواقعية الفرنسية " ت محمد علي اليوسفي – المؤسسة العربية تونس ١٩٨٥ ص٦٩

(٦) راجع صلاح"منهج الواقعية في الإبداع الأدبي "مرجع سابق ص١٦

(٧) جورج لوكاش " بلزاك والواقعية الفرنسية " مرجع سابق ص١٧

(٨) نفسه ص٢١

(٩) نفسه ص١٤٣

(١٠) غيورغي غاتشف " الوعي والفن " ت / نوفل نيوف عالم المعرفة ١٤٦ ص٧٢

(١١) بنلوبي مري " العبقرية "ت/محمد عبد الواحد محمد، عالم المعرفة (٢٠٨) ص٣٢١

(١٢) رحاب عبد السلام"مدائن إدواردو مندوثا" مجلة"الرواية:قضايا وآفاق"ع ٥ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١١ ،ص٢٧٢

(١٣) راجع رمزي زكي " المشكلة السكانية " عالم المعرفة رقم (٨٤) ص٧٦

(١٤) راجع إريك فروم " الإنسان بين الجوهر والمظهر " ت/ سعد زهران عالم المعرفة رقم ١٤٠ ص٤٧

(١٥) بو شعير" الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية " مرجع سابق ص٤٨

(١٦) نفسه ص٥٠

(١٧) لوكاش " بلزاك والواقعية الفرنسية " مرجع سابق ص٢٢

(١٨) راجع :صلاح فضل"منهج الواقعية في الإبداع الأدبي " ص١٧ – ٢٣ أثر بلزاك على أغلب القصاصين والروائيين الذين جاءوا عقبه من أمثال: دستويفسكي الذي يعد أحد أئمة الرواية الروسية الكلاسيكية ليس في روسيا فقط ،بل في الرواية العالمية في القرن التاسع عشر .انظر:مكارم الغمري " الرواية الروسية في القرن التاسع عشر " عالم المعرفة (٤٠) ص١٤٥ ،ولاشك أن الكاتب النروجي هنريك يوهان ابسن (١٨٢٨-١٩٠٦)تأثر به كما يظهر ذلك من خلال مسرحياته التي فضح فيها شرور المجتمع.راجع :موريس حنا شربل"موسوعة الشعراءوالادباء الاجانب"جروس برس ،لبنان،١٩٩٦ ص ٨

(١٩) محمد حسن عبدالله " الريف في الرواية العربية " عالم المعرفة ١٤٣ ص ٥٥

(٢٠) من المؤكد أن محفوظ قد اطلع على كثير من أعمال بلزاك ،فهو دائم الإشادة به ومؤلفاته ،ومن ذلك قوله :"بلزاك شيخ الروائيين ألف ثمانين عملاًروائياً"عبد الرحمن أبو عوف "الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ" مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ ص١٦٩

(٢١) سيزار فرناندث " أدب أمريكا اللاتينية " ت/ أحمد حسان عبد الواحد عالم المعرفة ١١٦ ص٩٨

(٢١) انظر غاتشف " الوعي والفن "مرجع سابق ص٩٠

(٢٢) نفسه ص ٢٣٦

(٢٣) نفسه ص ٢٤٠

(٢٤)نفسه ص٢٣١

(٢٥) جون ستروك " البنيوية وما بعدها " عالم المعرفة (٢٠٦) ص٨٩ ص٩٠

(٢٦) فقد أراد ذات مرة" أن يظهر الجهد المضني الذي يبذله في تصحيح مخطوطاته، فأهدى صفحة من هذا النوع .. إلى معاصره النحات الفرنسي "دافيد دانجييه " مذيلاً إياها بهذه العبارة: " ليس النحت مقصوراً على النحات!"حسن أحمد عيسى " الإبداع في الفن والعلم " عالم المعرفة رقم (٢٤) ص٢٧

(٢٧) شكري عياد " المذهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين"مرجع سابق ص١٦٩

(٢٨) السيد نجم "السمات الفكرية والجمالية لرواية المقاومة" مجلة:"الرواية ..قضايا وآفاق"العدد(٥)الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٠ ،ص١٦١

(٢٩) انظر رنييه ويليك " مفاهيم نقدية " ت / محمد عصفور عالم المعرفة (١١٠) ص٩٦

(٣٠) نفسه ص٩٦

(٣١)" فقد زعم البعض أنه كان يتزلف لتافهين من الوضعيين في عصره، فيجتهد ليبدو عالماً ويتبجح بسعة معرفته بالأسماء والمعلومات، ويسعى جاهداً ليبدو مدللاً متألقاً في الصالونات الأستقراطية ويقتحم كل الميادين : الاقتصادية والسياسية والوراثية والقانونية والاجتماعية " راجع غاتشف " الوعي والفن "مرجع سابق، ص٢٤٠

(٣٢) راجع:رينيه ويليك" مفاهيم نقدية" ص١٧٣

(٣٣) نفسه ص١٦٧

(٣٤) محمد رزق"النقد الأدبي الحديث" طبعة خاصة،١٩٨٨ص٧٦

(٣٥) بلزاك"الملهاة الانسانية(العازبون)الرواية الثالثة:المتصيدة-دراسات طبائع مشاهد من حياة المقاطعات"ت/ميشيل خوري،منشورات وزارة الثقافة ،دمشق، ٢٠٠٠ ص٣

(٣٥) أنور عبد الملك " تغيير العالم " عالم المعرفة رقم (٩٥) ص١٦٠

(٣٦) بلزاك "المتصيدة" نفسه ص٧

(٣٧) نفسه ص١٦١

(٣٨) نفسه ص١٥٨

(٣٩) نفسه ص٣٠٢

(٤٠) نفسه ص٣٠٦

(٤١) نفسه ص٣٠٦

(٤٢) نفسه ص١٧٧

(٤٣) نفسه ص٣٣٩

(٤٤) نفسه ص٢٦٥

(٤٥) نفسه ص٧٩

(٤٦ نفسه ص٩٤

(٤٧) نفسه ص٢٩

(٤٨) شكري عياد" المذهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين "مرجع سابق ص١٧٠

(٤٩) بلزاك "المتصيدة" ص٦٣ "كما أنها تغير منهن لجمالهن وفتنهن، لأنها كانت ذات جمال متواضع إن لم تكن قبيحة ،كما يدل قول أحدهم لفيليب ساخرا من دمامته:"أواه!ما دمت ابن السيدة بريدو فيمكن أن تغدو رجلاً كبيرا . يحيا ابن السيدة بريدو !أهي جميلة أمك؟ إن وجب الحكم عليها من عينة رأسك فحظها قليل!"المتصيدة ص٢٨

(٥٠) نفسه ص٦٣

(٥١) نفسه ص٧٩

(٥٢) نفسه ص٩٤

(٥٣) نفسه ص٩٤

(٥٤) نفسه ص١٠٢

(٥٥) نفسه ص٢٨٧ . (ما صنعه فيليب من قتل في أرض المبارزة شيء يقره القانون مهما كانت النوايا ؛ فاقتراف الجرائم في الغرب وفقا لمخرج أو حيلة قانونية منتشر بشكل فضيع ،لعدم التربية الروحية التي تردع الإنسان نهائياً من داخله لا من خارجه،والغالب على التربية الغربية هو احترام القانون لا احترام ومراقبة الله في السر والعلن،ويبدو أن بلزاك يحتقر طريقة الغرب هذه؛ لأنها أدت إلى عواقب وخيمة ؛و الإنسان أذكى من القانون، ويقدر أن يتحايل عليه، واسمع إليه وهو يسخر من هذه التربية في روايته: " الفلاحون " التي كتبها سنة ١٨٤٤م وهو يورد " محاورة بين الفلاح فورشون والقس بروسيت الذي يسأل فورشون إن كان يربي حفيده(موش) على خشية الله فيجيبه الأخير : أوه كلا ! كلا يا سيدي الخوري لم أقل له يخاف الله وإنما يخاف الناس !! أقول له : موش !اخش السجن! فمنه يخرج المرء باتجاه المشنقة. لا تسرق شيئاً ،دعهم يعطوك! السرقة تؤدي إلى القتل، والقتل يستدعي العدالة، والناس سيف العدالة، هو ما ينبغي أن تخشاه ! إنه يضمن نوم الأغنياء، مقابل أرق الفقراء! تعلم القراءة ،بالمعرفة تجد وسائل لتكديس المال وأنت محتمٍ بالقانون!! "جورج لوكاش " بلزاك والواقعية الفرنسية " مرجع سابق ص٦١ .وفي المتصيدة نرى أمثلة من ثمار هذه التربية الفاسدة منها:التخلص من الآخرين بإغراقهم في وحل رذيلة ما، يقول بيكسيو لأصدقائه:"يكفي إكساب شخص عادة سيئة للتخلص منه وقد سبق لفيكتور هوجو أن قال: إنها تحب المرقص كثيرا وهذا ما قتلها" ،وتابع:"هاهي جدتي تحب اليانصيب فقتلها فيليب في اليانصيب، والأب روجيه أحب العبث والمجون فقتله، والسيدة بريدو أحبت فيليب وهلكت من قبله... العادة السيئة العادة السيئة يا أصدقائي.. هل تعرفون ما هي النقيصة؟ إنها بونو الموت" و بونو:شخصية رئيسية في قصيدة فولتير الملحمية – الهزلية "البكر أوجان دارك" وبونو هو الخادم المسخر لأغراض غراميات الملك شارل السابع (١٤٢٢-١٤٦٠) وعشيقته آنيس سوريل وفيه يقول فولتير: كانت لديه مهمة ليست هينه بالتأكيد /ففي البلاط حيث يتلون كل شيء بالجمال/ أطلقت عليه صفة

صديق الأمير/ ولكن في المدينة وخاصة في المقاطعة كلها/ أطلق عليه الماجنون اسم القواد)المتصيدة ص٣٣٢

(٥٦) بلزاك "المتصيدة" نفسه ص٣٠٢

(٥٧) نفسه ص ٣٢٣

(٥٨) نفسه ص٣٢٨

(٥٩) نفسه ص١٤٦

(٦٠) ثناء أنس الوجود، رمز الأفعى في التراث العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ذاكرة الكتابة،ص١١٠

(٦١) المتصيدة ص١٧٣

(٦٢) نفسه ص١٧٣ وأتوني -على أغلب الظن- أنه استعار هذا الدور من حكاية:"خسروأبرويز"الفارسية ،اقرأ الحكاية في" الأدب المقارن "لمحمد غنيمي هلال ،دار العودة ،بيروت١٩٨٧ ص٦٦ حيث نرى الجارية الفاتنة مشكدانه، وهي تمتطي كبير الكهنة الموبدان ، وتدور به في غرفتها ،وهي تقول له:" خر خر" أي :"حمار حمار"!!.

(٦٣) نفسه ص ٦٣

(٦٤) نفسه ص٦٣

(٦٥) المتصيدة ص٦٨

(٦٦) نفسه ص٦٨

(٦٧) نفسه ص٨٠

(٦٨) جون ملتون "الفردوس المفقود" مرجع سابق ،ص٢٤١ .

(٦٩) فريدريك نيتشه"هكذا تكلم زارادشت"ت/فليكس فارس،الاسكندرية ١٩٣٨ ص٥٥

(٧٠) المتصيدة ص٧

(٧١) بل مال كثير من الرجال إلى عدم التصريح للمرأة بالحب، وخصوصاً الزوجة حتى لا تغتر بذلك ،فينال منها الأمّرين، يقول عز الدين إسماعيل في إحدى إبيجراماته في شكل حوار :

تحبني ؟ = نعم ولا وكيف ذا ؟ = لكي يعيش حبنا .جميل عبد المجيد"المفارقة والإبيجرام،مجلة فصول،ع٧٢ ،ص٢٤١)

(٧٢) المتصيدة ص١٥٩

(٧٣) من عادات الشعوب ولها صدى عندنا في الفولكلور الشعبي اليمني أن الرجل الكبير إذا تزوج بالمرأة الصغيرة، يرجع سنوات إلى الخلف ،فإذا هو فتى تام الحيوية والنشاط والفحولة !!هكذا تزعم العامة .

(٧٤) المتصيدة ص١٥٢

(٧٥) نفسه ص١٥٩

(٧٦) نفسه ص٢٧٤

٧٦ عبد الرحمن صدقي "بودلير الشاعر الرجيم"سلسلة اقرأ(٧) دار المعارف ١٩٨٦، ص٦٠

(٧٧) نفسه ص٢٧٦

(٧٨) نفسه ص٧

(٧٩)نفسه ١٨٩. وانظر : جودت شاكر محمود ـ الحوار المتمدن ص ٢١ـ٥٥ ـ عدد ٣٦٤٤ـ عام ٢٠١٢/٢/٢٠م .

(٨٠) انظر:محمد غنيمي هلال "الأدب المقارن" ١٩٨٧ ص٣٥٥

(٨٣) المتصيدة ص٧٩

(٨٤) راجع الفردوس المفقود ص٧٠

(٨٥) المتصيدة ص١٥٩

(٨٦) نفسه ص١٥٩

(٨٧) نفسه ص١٥٩

(٨٨) نفسه ص١٧٣

(٨٩) نفسه ص١٣٧

(٩٠) نفسه ص٢٠٤

(٩١) نفسه ص ٢١٠

(٩٢) نفسه ص ٢٢٩

(٩٣) نفسه ص٢٢٩

(٩٤) نفسه ص ٣٣٦